دَلالة التقديم والتأخير في آيات التمكين والتسخير

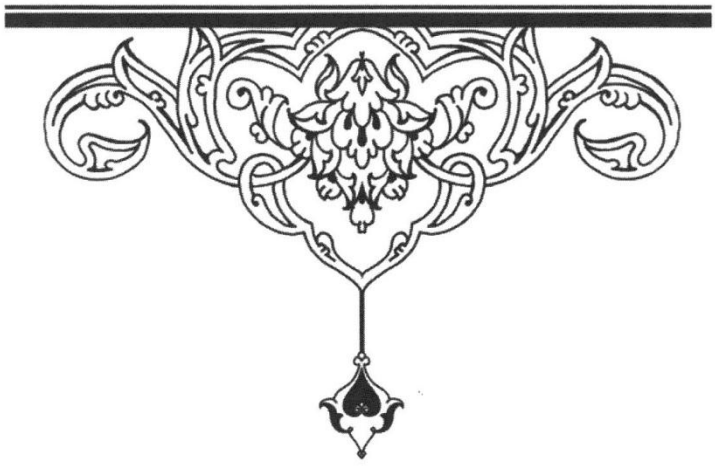

ستار موسى وحيد
باحث في كلية الآداب بجامعة الكوفة

أ.م.د. علاء عبد الأمير شهيد السنجري
كلية الآداب / جامعة الكوفة

دَلالة التقديم والتأخير
في آيات التمكين والتسخير

ستار موسى وحيد **أ.م.د. علاء عبد الأمير شهيد السنجري**
باحث في كلية الآداب بجامعة الكوفة **كلية الآداب / جامعة الكوفة**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، اللّهمَّ صل على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين.

الملخص :

إنّ التقديمَ والتأخير من الوسائل المهمة التي استند عليها القرآن الكريم في أسلوبه وطريقةِ نظمه ؛ وذلك لإفادة مزيد من المعاني المتنوعة التي لا تحصل إلا بهذه الوسيلة، ولعله من أوسع اساليب التعبير مساحة في القرآن الكريم ؛ وسبب ذلك هو قدرة هذا الأسلوب على أداء المعاني الخفية وتقوية الكلام وتجميله وسبكه، وقد حَظي هذا الأسلوب بعناية النحاة وعلماء البلاغة؛ لأنه يتصل بتراكيب الجمل، ويؤثر في دلالاتها، فهو تغيير في الرتب النحوية وهذا التغيير له ضوابط فصّلها النحاة في كتبهم ، فهو لا يحصل كيفما شاء المتكلم ؛ بل يشترط النحويون فيه حدوثه الحفاظ على المعنى من اللبس ؛ فالنحوي مهتم بصحة التركيب ولا شأن له بالأسرار الدلالية لهذا التركيب، أما البلاغي فيهتم بغرضه الدلالي للتراكيب ويكشف عن اسرارها وجمالياتها، أما في البحث الدلالي فيُبحث عن قيمة التقديم والتأخير الدلالية بغض النظر عن قيمته الجمالية ؛لأنَّ المعنى ثابت في كل أنواع الصياغة، وهذا الدراسة سلطت الضوء على نوعين من التقديم والتأخير هما: التقديم والتأخير لعامل، والتقديم والتأخير لغير العامل، وفي النوع الأول كشف الباحث عن دلالة التقديم التأخير

الحاصلة في الجملة الأسمية والتي تتمثل بتقديم الخبر على المبتدأ أو تقديم أحد مكونات الجملة الأسمية على عامله، وفي النوع الثاني كشف البحث عن القيم الدلالية للتقديم والتأخير لغير العامل، وهو تقديم ينظر إلى ترتيب الألفاظ ، والسؤال عن سبب هذا الترتيب للوصول إلى الدلالات التي يضمرها التركيب كالأولوية والأفضلية وغيرها.

الكلمات المفتاحية:الدلالة ، الدلالة التركيبية ، التقديم والتأخير، آيات التمكين، آيات التسخير.

The meanings of presenting and delaying
In the verses of empowerment and Harnessing

Sattar M. Waheed / Researcher
University of Kufa / College of Arts
sattarmosa84@gmail.com

Dr. Alaa A. Shaheed / A.Professor
University of Kufa / College of Arts
alaa.alabboodi@uokufa.edu.iq

Abstract :

Presentation and delay are among the most important means that the Holy Qur'an relied on in its style and method of organization. This is to take advantage of more diverse meanings that can only be obtained by this means. Perhaps it is one of the broadest ways of expression in the Noble Qur'an, and the reason for that is the ability of this method to perform hidden meanings, strengthen, beautify, and deliver speech. This method received the attention of grammarians and rhetoricians. And because it is related to the structures of sentences, and affects their semantics, it is a change in grammatical ranks, and this change has controls that the grammarians mentioned in their books, so it does not happen as the speaker wants; Instead, grammarians require its

occurrence in order to preserve meaning from confusion؛ The grammarian is concerned with the correctness of the structure and has nothing to do with the semantic secrets of this structure, while the rhetorician is concerned with its semantic purpose of the structures and reveals their secrets and aesthetics, while in the semantic research it searches for the value of semantic presentation and delay regardless of its aesthetic value; because the meaning is fixed in all types of formulation, and this study highlighted The light highlights two types of submission and delay: presenting and delaying to a worker, and presenting and delaying to a non-working person. In the first type, the researcher revealed the significance of presentation and delay occurring in the nominal sentence, which is represented by presenting the news to the subject or presenting one of the components of the nominal sentence to the worker, and in the second type the research revealed On the semantic values of presenting and delaying for the non-working person, a presentation that looks at the order of words, The question is about the reason for this arrangement in order to arrive at the connotations contained in the composition, such as priority, priority, and so on.

Keywords: semantics, structure, grammatical significance, introduction and delay, verses of empowerment, verses of oppression.

دلالــة التقـديم والتـأخير في آيات التمكين والتسخير:

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين ، اللهم صل على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين. وبعد.

تتألف اللغة من مستويات عدّة منها المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى التركيبي، وتتعالق هذه المستويات بعضها ببعض تعلقا لا يتصور انفصاله في الواقع المنطوق، ولا يمكن للغةٍ أن تؤدي وظيفتها من التعبير عن المقاصد إلا بحضور جميع تلك المستويات وتآلفها ، فالأصوات اللغوية المفردة ليس لها قيمة دلالية أساسية أو إيحائية إذا لم يأتلف بعضها مع بعض في كلمة ذات معنى، ومع ذلك يبقى الصوت اللغوي في المفردة قاصرا عن أداء وظيفته التامة مالم يدخل في فضاء الجملة والتركيب، وكذلك الأمر في المستوى الصرفي فإن المفردة الواحدة غير قادر على التعبير عن مقاصد المتكلم وصوره الذهنية مالم تنتظم وتتركب مع مفردات أخرى لتجد لنفسها مساحة شاسعة في أرجاء المعنى فتتمكن من حمل أكثر من معناها المعجمي، ويكون لموقعها في الجملة قيمة دلالية أخرى، فإذا تقدمت أو تأخرت نتج عن ذلك التغيير الموقعي تغير في دلالتها، وهكذا تتكامل هذه المستويات بما يخدم مقاصد المتكلم التي يريد إفهام المتلقي بها، وقد تناولنا بالدراسة الدلالية التطبيقية أهمية المستويين الصوتي والصرفي في آيات التمكين والتسخير في القرآن الكريم ، فيما كان بادياً في كل مستوى من مظاهر صوتية وصرفية أسهمت في تكوين الدلالة، أو ساعدت على تبريز المعنى وتمكين الأفهام من تناوله، وفي هذا الفصل يُبحَث المستوى التركيبي، من أجل الكشف عمَّا تضمره التراكيب النحوية من معانٍ مقصودة ودلالات لا يمكن أن تُؤدَّى إلا بتلك الهيئات التركيبية النحوية التي زخرت بها آيات التمكين والتسخير في القرآن الكريم .

أولا: مفهوم التركيب

والتركيب لغة مأخوذ من علو شيءٍ على شيءٍ[١] ((وتراكبَ السحابُ وتراكمَ: صار بعضُه فوق بعض ، وركَّب الشيء: وضع بعضه على بعض، وقد تركّب وتراكب ،

والركيب: يكون اسما للمُركّب في الشيء، كالفص يُركّب في كفة الخاتم))[٢] فاتضح أن التركيب هو عملية وضع شيء على شيء أو ضمه إليه .

أمّا مصطلح التركيب Syntax فيعني الترتيب أو التأليف بين الكلمات ، وقد استعمله الدارسون على أنه أحد فروع النحو (Grammar) الذي يعالج نظام ترتيب الجملة ، وينظر في العلاقات التي تربط بين أجزائها وتأثير ذلك في المعنى [٣] فهذا المصطلح يتجاوز المفهوم الضيق للنحو الذي ينظر إلى أواخر الكلم ، إذ نجد النحو القديم يتم تعريفه بأنه : ((علم يبحث فيه عن أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناء وموضوعة الكلمة العربية من حيث ما يعرض لها من الإعراب والبناء))[٤] فهو يحاول أن يضع القواعد والأحكام التي تضبط حركات أواخر الكلمات ، لكنه يحسب للمعنى حسابه ، فلا يجيز التركيب الخاطئ ، ولا يسمح بما يضيع المعنى ، بل إن نشأة قواعده كانت بسبب الحرص على أداء المعنى وصحة الضبط معا. وهذه النظرة الشاملة نجدها عند بعض المتقدمين والمتأخرين أمثال سيبويه (ت ١٨٠هـ) إلى الإشارة إلى نواة الجملة فذكر المسند والمسند إليه: ((هذا باب المسند والمسند إليه وهما ما لا يَغْنَى واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يَجد المتكلّمُ منه بداً ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنيُّ عليه ، وهو قولك عبدُ الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك يذهب عبد الله، فلا بدَّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأوَّلِ بدٌ من الآخرِ في الابتداء))[٥] وكذلك نرى التهانوي (ت ١١٥٨هـ) يجعل موضوع النحو الأساس ((اللفظ الموضوع باعتبار هيئته التركيبية وتأديتها لمعانيها الأصلية))[٦] فالقضية عندهم أشمل من الحركات الإعرابية بكثير، ووظيفة النحو عندهم معرفة تأليف الكلام العربي، سواء تعلق بهيئة التأليف من جهة التقديم والتأخير والوصل والفصل ، والحذف والاضمار ، أم تعلق بناحية الاعراب والبناء[٧] وهذا التركيب وكيفيته سببه المعنى الذي يقصده المتكلم وإلى هذا أشار السكاكي (٦٢٦هـ) بقوله : ((اعلم أن علم النحو هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية وأعني بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض ورعاية ما يكون من الهيئات))[٨] فالعناية بالمعاني هي التي أوجبت دراسة اللفظ في التركيب من حيث

اتصاله بالأجزاء الأخرى وتأثيره فيها وتأثره بها ، وهو ما وقف عنده الجرجاني (ت ٤٧١هـ) طويلا في تأكيده على مسألة التعلق بين الكلم ومما قاله في هذا الشأن : ((واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك ، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس))[٩] فهذا التعلق له صور مختلفة ، ولا شك أن سبب هذا الاختلاف التركيبي راجع إلى المعنى المراد إفصاحه .

ثانيا: مفهوم الدلالة التركيبية:

الدلالة التركيبية هي ((الدلالة الناشئة عن العلاقة بين وحدات التركيب ، أو المستمدّة من ترتيب وحداته على نحو ما، ففي قول الحق سبحانه :﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾(فصلت:٣٠) وفي التركيب اللغوي السابق طائفة من العلاقات النحوية ربطت وحداته ببعضها على النحو الآتي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: علاقة ناسخ (إن) بمنسوخها (الذين) ، قالوا: جملة فعلية ترتبط بالذين بوصفها صلة ، وهي علاقة تلازم من قبيل التضام ، يدعمها قرينة ربط متمثلة في الضمير (الواو) العائد من الفعل إلى (الذين) والعلاقة بين الفعل (قال) والواو هي علاقة إسناد))[١٠]

وموضوع الدراسة التركيبية هو الجملة ((وهي ميدان علم النحو؛ لأنه العلم الذي يدرس الكلمات في علاقة بعضها ببعض، وحين تكون الكلمة في جملة يصبح لها معنى نحوي؛ أي: تؤدي وظيفة معينة تتأثر بغيرها من الكلمات وتؤثر في غيرها))[١١] أو هي ((ألفاظ مركبة تعبر عن فكرة وتفصح عن معنى ، وكل معنى لابد فيه من طرفين : وصف وموصوف، أو مسند ومسند إليه ، أو موضوع ومحمول -كما يعبر أهل المنطق- وباختلاف الوصف أو المسند أو الموضوع تختلف طبيعة الجملة))[١٢] فهي المظهر الواضح للتركيب النحوي ولا يمكن تغييب دور هذا التركيب في توجيه المعنى ، لأن إلغاء العلاقات والروابط بين الكلمات يجعلها متناثرة مبعثرة لا

قيمة دلالية لها ، ولا تعبر عن فكر الإنسان، ((وقد عرف هذا النوع من دراسة دلالة الجملة بعلم الدلالة التركيبي، أو علم دلالة الجملة في الغرب، وقد بدأ عند الغربيين من خلال البحوث الدلالية في علم النحو التحويلي))[١٣]، ومادام اهتمام الدّارسين قديما وحديثا منصب على دلالة الجملة والتركيب ؛ لذا سيحاول الباحث في هذا الفصل دراسة أنواع الجمل وأحوالها ، وما تنطوي عليه من أساليب إنشائية ، وما يحصل فيها من تقديم وتأخير في آيات التمكين والتسخير في القرآن الكريم ، وذلك للكشف عن الدلالات الكامنة وراء كل ظاهرة تركيبية سيتم تناولها ، وستكون الدراسة وفق المباحث التالية :

إنّ التقديمَ والتأخير من الوسائل المهمة التي استند عليها القرآن الكريم في أسلوبه وطريقةِ نظمه ؛ وذلك لإفادة مزيد من المعاني المتنوعة التي لا تحصل إلا بهذه الوسيلة، ولعله من أوسع اساليب التعبير مساحة في القرآن الكريم ؛ وسبب ذلك هو قدرة هذا الأسلوب على أداء المعاني الخفية وتقوية الكلام وتجميله وسبكه، وقد حَظي هذا الأسلوب بعناية النحاة وعلماء البلاغة؛ لأنه يتصل بتركيب الجمل، ويؤثر في دلالة التركيب . وقبل تناول هذا الموضوع في آيات التمكين في القرآن الكريم بالدراسة والتحليل ، لابد من التعريف به ، وتبيين أهم خصائصه ودوافعه ، وأهم الحقول اللغوية التي تناولته .

لقد نال موضوع التقديم والتأخير عناية النحويين والبلاغيين على حد سواء ، وقد تطرق له سيبويه (ت ١٨٠هـ) في مواضع مختلفة من كتابه منها في (بابٌ تُخبِر فيه عن النكرة بنكرة) بأنه يأتي للعناية والاهتمام[١٤]ومنها في (باب الابتداء) الذي أكد فيه على أحقية المبتدأ في التقديم وأما الخبر فحقه التأخير ، أمّا إذا تقدم الخبر وجرى على القياس النحوي ، فهو عنده عربي جيد[١٥] وتبعه المبرد (ت ٢٨٥هـ) فقد ذكره في مواطن كثيرة ، مُشترِطاً فيه وضوح الإعراب وعدم حصول اللّبس[١٦] ويظهر منه اهتمامه بصحة المعنى وعدم ضياعه .

أمّا عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) فلم يحصر فائدته على العناية والاهتمام ، وأولى هذا الأسلوب التركيبي عناية فائقة قائلا : ((هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان))[١٧] ونص الجرجاني من الوضوح بمكان، والفوائد التي أشار إليها لا تقتصر على التزيين البلاغي والغايات الجمالية ؛ بل تتعداه إلى فوائد دلالية متنوعه . وقد عرّف الزركشي (ت ٧٩٤هـ) التقديمَ بأنه تقديم ما حقه التأخير كتقديم الخبر على المبتدأ ، أو تقديم المفعول به على الفاعل ، وذكر له سبعة أسباب ، كلها تتصل بالمعنى من جهة التحذير من الإخلال به ، ومن جهة الأغراض والمعاني التي يؤديها[١٨] أي أن التقديم والتأخير يفترض فيه الحفاظ على المعنى الاساسي ، والإدلاء بمعانٍ جديدة .

و((يعد التقديم والتأخير من مظاهر كثيرة تمثل قدرات إبانه أو طاقات تعبيرية يديرها المتكلم اللقِن إدارة حية وواعية ، فيسخرها تسخيرا منضبطاً للبوح بأفكاره ، وألون أحاسيسه ، ومختلف خواطره))[١٩] فيختار التراكيب التي تمثل ما يجول في ذهنه من أفكار ، وما يختلج في وجدانه من أحاسيس . وقد أشار تشومسكي إلى (البنية العميقة) للتركيب ، التي تتشكل في الذهن أولاً ، ثم تتحول إلى السطح(البنية السطحية) فتظهر على شكل تراكيب متعددة الأنماط، يحصل في أماكن عناصرها التغيير ، الذي يؤدي بدوره إلى التغيير الدلالي ، والحق أن علماء العربية القدامى بحثوا هذه الظاهرة وأحكموا قوانينها المنظمة لها[٢٠] ومن الشواهد على ذلك قول الجرجاني وهو يتحدث عن النظم ((وأنك ترتب المعاني، أولا في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك))[٢١]((ونحن إذا تأملنا وجدنا الذي يكون في الألفاظ من تقديم شيء منها على شيء، إنما يقع في النفس))[٢٢] واقتراب ما توصل إليه النحو العربي من التفكير النحوي الحديث ، يؤكد قوة النظر لدى علماء

العربيــة ، واســتيعابهم المبكــر لتعــدد التراكيــب تبعــا للبنيــة العقليــة العميقــة لــدى المتكلم .

وإلــى مــا تقــدم يشــير الــدكتور مهــدي المخزومــي بقولــه :((والجملــة هــي المركــب الــذي يبــين المــتكلم بــه أن صــورة ذهنيــة كانــت قــد تألفــت أجزاؤهــا فــي ذهنــه ، ثــم هــي الوســيلة التــي تنقــل مــا جــال فــي ذهــن المــتكلم إلــى ذهــن الســامع))[٢٣] وأن هــذه الجملــة تــترابط أجزاؤهــا بعمليــة الإســناد، وهــي عمليــة ذهنيــة قبــل أن تمثلهــا الجمــل المنطوقــة أو المكتوبــة ؛ ولكــنَّ هــذه الأجــزاء لا تأخــذ شــكلاً ثابتــاً فــي التركيــب؛ فقــد تتغيّــر مواقــع الكلمــات؛ لأنَّ ((مواقــع الكلمــات فــي الجملــة عظيمــة المرونــة ، كمــا هــي شــديدة الحساســية ، وأي تغييــر فيهــا يحــدث تغييــرات جوهريــة فــي تشــكيل المعــاني ، وألــوان الحــس، وظــلال المعنــى))[٢٤]، وحــين نتحــدث عــن مواقــع الكلمــات فــي الجملــة، فإننــا نتحــدث عــن التركيــب الــذي يبنــى علــى رتــب معينــة قبــل حصــول التقــديم والتــأخير. الــذي يُعــد عــدولاً عــن هــذا الترتيــب أو الرتــب النحويــة التركيبيــة، والرتبــة نوعــان : رتبــة محفوظــة كوجــوب تقــدم الموصــول علــى الصــلة ، أو الصــفة علــى الموصــوف، وهــي رتــب لا تتخلــف ؛ لأنّ المعنــى مــرتبط بهــا، وهنــاك الرتــب غيــر المحفوظــة ، وهــي التــي تســمح بالتقــديم والتــأخير وهــو مــا يطلــق عليــه (تشــويش الرتبــة)[٢٥] ((والعــدول عــن هــذه الرتــب يمثــل نوعــاً مــن الخــروج عــن اللغــة النفعيــة إلــى اللغــة الإبداعيــة ، ومــن هنــا وجَّــه البلاغيــون اهتمامــاً خاصّــاً لهــذا المبحــث ، ورصــدوا كثيــراً مــن التعبيــرات التــي تــوفرت فيهــا هــذه الظــاهرة ، ومــا يُمكــن أن تُفيــد منــه الدلالــة ، أو بمعنــى أصــح مــا يُمكــن أن تتغيــر بــه الدلالــة تغييــرا يوجــب المزيــة والفضــيلة))[٢٦] وهــذا التغييــر لــه ضــوابط فصّــلها النحــاة فــي كتبهم ، فهــو لا يحصــل كيفمــا شــاء المــتكلم ؛ بــل يشــترط النحويــون فيــه حدوثــه الحفــاظ علــى المعنــى مــن اللــبس ؛ فــالنحوي مهــتم بصــحة التركيــب ولا شــأن لــه بالأســرار الدلاليــة لهــذا التركيــب ، أمــا البلاغــي فيهــتم بغرضــه الــدلالي للتراكيــب ويكشــف عــن اســرارها وجمالياتهــا ، أمــا فــي البحــث الــدلالي فيُبحــث عــن قيمــة التقــديم والتــأخير الدلاليــة بغــض النظــر عــن قيمتــه الجماليــة . لأن المعنــى ثابــت فــي كــل أنــواع الصــياغة ،

والذي يتغير هو الدلالة ، فلو قلنا : (ضربتُ زيداً) ، و(زيداً ضربتُ) فالمعنى واحد وهو قيام المتكلم بضرب زيد ؛ لكن الدلالة بين الجملتين مختلفة بسبب التقديم والتأخير في مواقع كلمات الجملة [٢٧] . وفي هذا المبحث سيكشفُ الباحث عمَّا يقدمه هذا الاسلوب من فائدة دلالية مضافة لا نجدها في الترتيب الطبيعي للجملة ، وسنجد في آيات التمكين والتسخير أن القرآن الكريم يقدم ويؤخر دون أن يضحي بالمعنى ؛ بل يزيده انكشافاً ويضيف له دلالة أخرى تجعله أكثر قوة وتأثيراً.

وللتقديم والتأخير دوافع تحفِّز المتكلم لإحداث هذا الأسلوب التركيبي وذكر الدارسون منها عشرة أنواع : التشويق ، تعجيل المسرة ، تعجيل المساءة ، التفاؤل، إنكار المتقدم ، تقوية الحكم وتقريره ، التخصيص ، الاهتمام ، التعظيم ، التشريف [٢٨] . وتجدر الإشارة إلى أنّ التقديم والتأخير في القرآن الكريم ينقسم إلى قسمين:

١ــ تقديم المعمول وتأخير العامل كتقديم المفعول وتأخير الفعل ، أو تقديم الخبر وتأخير المبتدأ وغيرها مما فيه مخالفة للرتب النحوية الطبيعية في الكلام .

٢ــ التقديم على غير العامل : اي تقديم لفظ على لفظ وليس بينهما علاقة العامل بالمعمول وإنما لاعتبارات أخرى كقدم الوجود والأولوية والأفضلية وغيرها[٢٩] وسينطلق التحليل الدلالي في آيات التمكين والتسخير على بساط هذين القسمين .

ولستُ في هذا المبحث الضيّق بصدد التنظير لهذا الموضوع أو التحدث عن تقسيماته ورصدها في آيات التمكين والتسخير ، وإنما غاية المبحث هو تتبع التراكيب التي وقع فيها التقديم والتأخير في هذه الآيات ، التي وفرت لنا دلالات مهمة تستحق أن يوقف عندها بالتحليل والدراسة ، وانطلاقاً على ما تقدم سيُشيَّد البحث على عنوانين رئيسين :

أولا: دلالة تقديم اللفظ على عامله : وردت في آيات التمكين والتسخير صور متعددة لهذا النوع من التقديم في الجملة الاسمية والفعلية سأشير إليها

أثناء عرض الآيات ، دون عرضها في تبويب مفصل ؛ وذلك اختصار للبحث ، واستثماراً للمساحة بالاستفادة منها في تحليل الشواهد المنتقاة .

أ/ دلالة التقديم والتأخير في مكونات التركيب للجملة الاسمية : تقدم أن الجملة الاسمية تتألف من المبتدأ والخبر ، قال ابن عقيل(ت٧٦٩هـ) : ((الأصل تقديم المبتدأ وتأخير الخبر ؛ وذلك لأن الخبر وصف في المعنى للمبتدأ؛ فاستحق التأخير كالوصف ، ويجوز تقديمه إذا لم يحصل بذلك لبس أو نحوه على ما سيُبين فتقول: قائم زيد ، وقائم أبوه زيدٌ ، وأبوه منطلق زيدٌ ، و زيد في الدار، وزيد عندك))[٣٠] والمبتدأ والخبر هما رُكْنا الجملة الاسمية ؛ ولكن قد يأتِي مع ركنيها متعلقات وتوابع أخرى متممة للمعنى يحصل فيها التقديم والتأخير؛ ولهذا وضع الباحث قيد (مكونات التركيبي) في العنوان أعلاه ؛ ليشمل التحليل كل ما يتعلق بالجملة الاسمية بركنيها ومتمماتها(الفضلة) ، سواء أكانت الجملة منسوخة أم غير منسوخة ، أو مثبتة أم منفية ، وأقصد بالمكونات التركيبية هو الجملة بتمامها والتي يحسن السكوت عليها وهي ((أكبر وحدة نحوية تقبل التحليل اللغوي ، فالفعل ومتعلقاته ، والاسم وتوابعه المذكورة تمثل الجملة ، وليس الفعل والفاعل أو نائبه ، أو المبتدأ والخبر وحدهما))[٣١] بل كل العناصر التي انتظمت في رصف الجملة .

ومن مواضع التقديم والتأخير في آيات التمكين والتسخير ما جاء في قوله تعالى فيما قصه عن يوسف (عليه السلام): ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [٣٢]، إذ حصل في المكون التركيبي للجملة الاسمية (إنَّك اليومَ لدينا مكينٌ أمينٌ) تقديمٌ لمتعلقات الخبر : (اليومَ) وهو ظرف زماني منصوب متعلق ب(مكين) خبر(إنَّ)، و(لدينا) ظرف مكاني في محل نصب وهو متعلق بالخبر السابق[٣٣]، فتقديم متعلقي الخبر يدل على شدة اهتمام ملك مصر بيوسف (عليه السلام) عندما ((شاهد فيه ما شاهد من جلال النبوة ، وجميل الوزارة ، وخلال السيادة ، ومخايل السعادة))[٣٤]، فقدم الظرف الزماني (اليوم) لتحديد

مبدأ التمكين والأمانة ، وتخصيص بدايتهما من اليوم الذي تكلم فيه؛ ليحترز به عمّا يدل على أنّ هذا التحديد سيكون بعد حين آخر، وكذلك الأمر في تقديم (لدينا) فهو يدل على العناية الشديدة بشأن يوسف(عليه السلام) ، واختيار (لدى) دون (عند) يجلّي هذا الاهتمام ويبرِّز تلك العناية[٣٥] لأن استعمال (عند) للشيء الحاضر والغائب عند المتكلم ، أما (لدى) فلا يكون استعمالها إلا للشيء الحاضر[٣٦] . فهو يريده قريبا منه ، يستشيره ويطلعه على شؤون المُلك الخاصة ، فتكون (لدى) أخص وآكد من (عند) ، فأظهر التقديم والتأخير ما بلغه النبي الصديق من شأوٍ باذخٍ ، وما ناله من تمكينٍ واسعٍ ومنزلة رفيعة لدى ملك مصر.

ومن موارد التقديم والتأخير ما جاء في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[٣٧]، فقد تقديم الخبر (للهِ) على المبتدأ (عاقبةُ الأمورِ) ودلالة هذا التقديم هو التخصيص ؛ أي أن عاقبة الأمور لله خاصة، مرجعها إلى حكمه وتقديره[٣٨] ومجيء هذه الجملة بعد ذكر صفات المؤمنين ؛ للتنبيه على أن جميع الأمور مردها إليه ، وإن تمكين المؤمنين وتملكهم الأرض أمر سيحصل لا محالة[٣٩] وهذه الجملة هي وعد لله لعباده ، وفي تقديم خبرها تأكيد على هذا الوعد[٤٠] فتكون فائدة هذا التقديم الدلالية هي التخصيص والتوكيد على الوعد .

ومن شواهد التقديم والتأخير ما جاء في قوله تعالى فيما قصه عن نبيه سليمان (عليه السلام) وما سخره له من الجنّ : ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[٤١] حيث حصل في ذيل الآية تقديم للخبر (قليلٌ) على المبتدأ (الشكور) ، والشكور أي : الشاكر لله بلسانه وقلبه وجميع جوارحه على جميع أنعامه وآلائه[٤٢] وجملة (وقليل من عبادي الشكور) فيها إشارة إلى تعظيم هذه المجموعة النموذجية الشكورة ، وفيها حثٌّ للسامع ليلتحقَ بأفرادها ويزيد من جمعها[٤٣] ، فيكون تقديم الخبر (قليل) زيادة في تعظيم

مجموعة القلة . أو أنّ هذه الجملة جِيء بها لتقرير تقصير الكثرة في شكر النعم [٤٤] ولعل تقديم الخبر (قليل) جاء لتأكيد عدد القلة الشكورة ، وأن المتقاعسين عن الشكر هم كثرة دائما فاقتضى تقديم القلة على جملة العباد ، ومن لطائف التعبير القرآني أنه يستعمل صيغة الجمع في الجملة فلم يقل (وقليلون من عبادي الشكورون) بل عبر عنهم بالإفراد (قليل، شكور) ؛ ليبالغ في ندرتهم وقلتهم .

ومن مواضع التقديم والتأخير ما ورد في قوله تعالى :﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٤٥] والآية تعرض ما مكن الله به المؤمنين من وسائل النصر الغيبية ، وموضع المتقدم فيها جملة (ولله جنودُ السماواتِ والأرضِ) وواضح أن ((الواو عاطفة ولله خبر مقدم وجنود السموات والأرض مبتدأ مؤخر))[٤٦] ((وتقديم المسند على المسند إليه في ولله جنود السماوات والأرض لإفادة الحصر، وهو حصر ادعائي إذ لا اعتداد بما يجمعه الملوك والفاتحون من الجنود لغلبة العدو بالنسبة لما لله من الغلبة لأعدائه والنصر لأوليائه))[٤٧] .

ومن شواهد التقديم والتأخير أيضاً ما جاء في قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٤٨] تؤكد هذه الآية على إثبات ربوبية الله وخالقيته وتسخيره لخلقه ، وأن كل ذلك محصور به . وموضع التقديم في جملة (له الخلقُ والأمر) ، ((واللام الجارة لضمير الجلالة لام الملك. وتقديم المسند هنا لتخصيصه بالمسند إليه. والتعريف في الخلق والأمر تعريف الجنس، فتفيد الجملة قصر جنس الخلق وجنس الأمر على الكون في ملك الله تعالى، فليس لغيره شيء من هدا الجنس، وهو قصر إضافي معناه: ليس لآلهتهم شيء من الخلق ولا من الأمر))[٤٩] وتخصيص الخالقية والآمرية به سبحانه دليل على عظمة خلق المسخرات ، وأنها مخلوقة للفائدة والنفع وليس

للضـرر والمفسـدة ، لأن الخـالق هـو رب العـالمين والـرب هـو المربـي الشـفيق الرحيم النافع لخلقه.

ب/ دلالـة التقـديم والتـأخير فـي مكونـات التركيـب للجملـة الفعليـة : ومـن المعلـوم أن المكـون التركيبـي للجملـة الفعليـة يتـألف مـن ركنـين همـا : الفعـل والفاعـل ، ثـم المفعـول بـه وبـاقي المتعلقـات بالفعـل ، وقـد يتقـدم بعـض هـذه العناصـر المكونـة للجملـة الفعليـة علـى بعـض العناصـر التـي تسـبقه رتبـة ، كتقـدم المفعـول بـه والفاعـل علـى الفعـل ، وقـد ذكـر سـيبويه ذلـك سـيبويه فـي كتـاب (مـا يكـون فيـه الاسـم مبنيـا علـى الفعـل قـدم أو أخـر) بأنـه للعنايـة والاهتمـام[٥٠] وقـال السـيوطي (ت ٩١١هـ) : ((الأصـل أن يَلِـي الْفَاعِـلُ الْفِعْـلَ؛ لِأَنَّـهُ مُنـزَّل مِنْـهُ مَنزلَـة الْجُـزْء وَيجـوز الْفَصْـل بَينهمَـا بـالمفعول نَحْـو ضـرب عمـرا زيـد وَيجـب الْبَقَـاء علـى الأَصْـل إِذا حصـل لـبس كَـأَن يخفـى الْإِعْـرَاب وَلَا قرينَـة نَحْـو ضـرب مُوسَـى عِيسَـى))[٥١] وهـذا فيمـا يخـص جـواز تقـديم الفاعـل علـى المفعـول بـه ، وأمـا تقـديم المفعـول بـه علـى الفعـل فقـد قـال شـارحاً : ((الأَصْـل فِـي الْمَفْعُـول بِـهِ التَّـأَخُّر عَـن الْفِعْـل وَالْفَاعِـل وَقـد يقـدم علـى الْفَاعِـل جَـوَازًا ووجوبـا كَمَـا تقـدم فِـي بَابـه وَقـد يقـدم علـى الْفِعْـل جَـوَازًا نَحْـو ﴿فريقـا هـدى وفريقـا حـق عَلَـيْهِم الضَّـلَالَة﴾[٥٢] و﴿ ففريقـا كَـذبْتُمْ وفريقـا تقتلـون﴾[٥٣]))[٥٤] أمّـا ((متعلقـات الفعـل فكثيـرة منهـا: المفعـول، والحـال، والظـرف، والجـار والمجـرور، وهـذه (المتعلقـات) أقـل فـي الأهميـة مـن (ركنـي الجملـة) ومـع ذلـك فقـد تتقـدم عليهمـا أو على أحدهما))[٥٥] أما أغراض هذا التقديم والتأخير فقد أشِير إليها سابقاً .

ومـن شـواهد التقـديم والتـأخير فـي قولـه تعـالى :﴿ وَإِذِ ابْتَلَـى إِبْـرَاهِيمَ رَبُّـهُ بِكَلِمَـاتٍ فَـأَتَمَّهُنَّ قَـالَ إِنِّـي جَاعِلُـكَ لِلنَّـاسِ إِمَامًـا قَـالَ وَمِـنْ ذُرِّيَّتِـي قَـالَ لَا يَنَـالُ عَهْـدِي الظَّـالِمِينَ﴾[٥٦] وفـي الآيـة تقـديم وتـأخير فـي موضـعين : أولهمـا (ابتلـى إبـراهيمَ ربُّـه) فقـدم المفعـول بـه (إبـراهيمَ) لأهميتـه[٥٧] ، وقـال بـن عاشـور(ت١٣٣٩هـ) : ((وتقـديم المفعـول وهـو لفـظ (إبـراهيم) لأن المقصـود تشـريف إبـراهيم بإضـافة اسـم رب إلـى اسـمه مـع مراعـاة الإيجـاز فلـذلك لـم يقـل وإذ ابتلـى الله إبـراهيم))[٥٨] ، وكـذلك نجـد التقـديم فـي جملـة : (جاعلُـك للنـاسِ إمامـاً) حيـث

قدم الجار والمجرور (للناس) على المفعول به الثاني (إماماً) وذلك لتأكيد دوره الذي سيؤديه في منفعة الناس ؛ إذ يتخذونه قدوة يقودهم إلى الله ، ويهديهم إلى كل خير[٥٩] وكان هذا الجعل والتمكين بالإمامة هو نتيجة ذلك الابتلاء الكبير الذي ابتلي به الله خليله ، وقد أدى التقديم والتأخير وظيفته في إبراز التشريف الذي ناله خليل الرحمن لما أتم ما ابتلاه به ربُّه من ابتلاءات عظيمة ، فاستحق بذلك جزاءه بأن يكونَ إماماً مُمكَّناً بالدين والحجة والذرية النبوية .

ومن آيات التسخير التي ورد فيها التقديم والتأخير قوله تعالى :﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [٦٠] والآية مسبوقة بالحديث عن فهم نبي الله سليمان (عليه السلام) لحكم مسالة بين متخاصمينِ اثنين ، وقد سبقه ابوه داود (عليه السلام)بالحكم بها ؛ وكان حكم سليمان أصوب من حكم أبيه ، لكن الآية استدركت بجملة (وكلاً آتينا حكما وعلماً) التي تقدم فيها المفعول به الأول (كلاً) على الفعل المتأخر (آتينا) . لتخصيصهما بالعلم والحكمة وتسويتهما بذلك ؛ و لئلا يتوهم أحد أن سليمان أفضل من أبيه داود في الفتيا أو الحكم بين المتخاصمين[٦١] .

ومن مواضع التقديم والتأخير في المكون التركيبي للجملة الفعلية قوله تعالى : ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٦٢] والتقديم والتأخير في الآية حصل في موضعين هما : (اضربْ بعصاك الحجر) ؛ إذ تقدم الجار والمجرور (بعصاك) على المفعول به (الحجرَ) لتخصيصها بالضرب بها دون غيرها ، ولعل إضافتها له بالكاف إشارة إلى عصاه المعهودة التي كانت بيده حين كلمه الله في سيناء و أظهر فيها الإعجاز في مجلس فرعون، والموضع الثاني في قوله : (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) فقدم شبه الجملة (منه) على الفاعل (اثنتا) ، ولعل سبب التقديم هو لبيان الاعجاز في انفجار الماء من الحجر؛ لأنَّ سياق الآية هو

لبيان الإعجاز في ذلك ، فقدم شبه الجملة على الفاعل (فانفجرت منه) فصورت لنا الانفجار قبل أن يخبرنا أنه من العيون ؛ وذلك لإلفات أذهاننا والتفكر بطريقة تفجير الماء من الحجر ، فكان التقديم والتأخير متساوقاً مع غايته في وصف عناية الله ببني اسرائيل ؛ إذ وفر له الماء الذي منه شرابهم وطعامهم ، وطهارتهم ، وزراعتهم ، وهذا يتيح لهم الاستقرار والتمكن بدلا من مشقة البحث عن موارد المياه العذبة .

ومن موارد التقديم والتأخير في الجملة الفعلية في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (٦٣) والتقديم في شبه الجملة (بكم) على المفعول به (البحر) ، وكان الترتيب الطبيعي للجملة : فرقنا البحرَ بكم ؛ لكن تقديم شبه الجملة دل على أن دخول بني اسرائيل في شق البحر كان مباشراً ، فكأنهم كلما تقدموا ينفرق البحر أمامهم ، ((والباء في (بكم) للملابسة كما في (طارت به العنقاء) و (عدا به الفرس)، أي كان فرق البحر ملابسا لكم والمراد من الملابسة أنه يفرق وهم يدخلونه فكان الفرق حاصلا بجانبهم))(٦٤) ولصيقاً بهم ؛ ليُريهم عن قُرب قدرته وعظمته ، وكيف حصل الفرق العظيم على يد نبيه وكليمه ! وقد أدى التقديم غايته في بيان ما مكن به بني إسرائيل بفرق البحر والنجاة من فرعون ، وجعلهم يتسلون بمشاهدة هلاك عدوهم عن قرب ، والذي كان من قبل يتمتع بمشاهد القتل والترويع والبطش الذي نالهم بأمرٍ منه وعلى يدي جنوده .

ومن مواضع التقديم والتأخير ما جاء في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾(٦٥) وفي الآيتين تتقدم متعلقات الفعل عليه ، فتقدم الجار والمجرور (لكم) في الجملة الفعلية (جعل لكم الأنعامَ) للدلالة على الاهتمام بالمُنعَم عليهم ، وإظهار كمال الرعاية لهم(٦٦)، فلو أن شبه الجملة (لكم) تأخرت لكانت الجملة (جعل الأنعامَ لكم) تدل على مجرد حصول الفائدة منها ، ولكنه بتقديمها لها دلت على كمال العناية بالمخاطب ، والاهتمام به ، ويظهر هذا الاهتمام من تعليل هذا الجعل بقوله : (لتركبوا منها ومنها تأكلون ، وجاء تقديم هذه المتعلقات موافقها لهذا الاهتمام وتلك

العناية التي أريد بها تنبيه الإنسان إلى تكريم الله تعالى له؛ بما سخر له من أنواع خلقه .

ثانيا : دلالة تقديم بعض الألفاظ في غير العامل : وهذا النوع من التقديم والتأخير ليس فيه عدول عن رتبة نحوية كما وُجِد ذلك في النوع الأول ، ولكنه تقديم وتأخير في المعاني والمفاهيم ؛ لأسباب ذكرها السيوطي منها : الشرفية ، السببية ، السبق ، الترقي من الأدنى إلى الأعلى ، التدلي وهو عكس الترقي ، رعاية الفواصل[٦٧] و بما أنّ القرآن الكريم دقيق في اختيار موضع الكلمة في مكانها المناسب من التركيب ، ولم يكن ذلك الوضع اتفاقا، وجد الدارسون أن هذا النوع من التقديم يحمل دلالات خاصة يمكن تلمسها من سياق الكلام .

ومن آيات التمكين والتسخير التي جاء في التقديم والتأخير لغير عاملٍ ، قوله تعالى : ﴿وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٦٨] فقدم الزوجة على الجنة بقوله : اسكن أنت وزوجك الجنة . وقال الآلوسي في كشف وجه الدلالة في هذا التقديم بقوله : ((الزوجة مسكن القلب، والجنة مسكن البدن، ومن الحكمة تقديم الأول على الثاني))[٦٩] فالسكن الروحي أعظم من السكن البدني ، فالجنة جعلت لآدم للأكل والشرب والراحة البدنية ، بينما الزوجة تحقق له راحة النفس وسكن القلب ، فهذه الدلالة لا تتجلى بوضوح لولا هذا التقديم .

ومن شواهد هذا التقديم قوله تعالى : ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآَيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٧٠] وهذا مما مكَّن الله به نبيه المسيح (عليه السلام) ، فنراه وهو يعدد لقومه موارد التمكين قد قدم (الخلق) من الطين على غيرها من المعجزات الباهرات ؛ وذلك لأن الخلق من الطين أعظم في الإعجاز من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء

الموتى ثالثاً، وإنما أخَّر إحياء الموتى لأنه يشاركه به غيره[٧١] فبدأ بالأعظم الذي ينفرد به طمعاً في جذبهم للإيمان به وتصديقه .

ومن مواضع التقديم لغير العامل في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٧٢] ونرى أنه قدم العلم على الجسم ؛ ليدل على أن العلم من الفضائل النفسية التي هي أشرف من الفضائل الجسمية [٧٣] فبدون العلم لا يمكن للملك أن يستقيم ، وإذا تزاحمت هاتان الصفتان في رجلين فيقدم صاحب العلم ، وإذا اجتمعتا معا في أحدهما يقدم على غيره .

ومن مواضع التقديم لغير عاملٍ قول اللهِ تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٧٤] والملاحظ في هذه الآية التمكينية المباركة أنها تُلفت إلى ثلاثة أنواع من التكريم هي : الحمل في البر والبحر ، الرزق من الطيبات ، والتفضيل على كثير من الخلق . وتقديم الحمل في البر والبحر على غيره للدلالة على أمرين، الأول : أن الاستفادة من الطيبات والأرزاق لا يحصل إلا بالحركة ، والحركة على سطح الأرض برا وبحرا يحتاج إلى وسائل نقل متعددة ، والثاني : هو إظهار سلطة بني آدم على الكوكب بما فيه من بحار وصحارٍ ، فالإنسان متسلط على البر والبحر وقادر أن يتسلط على الهواء أيضاً[٧٥] فجاء ترتيب هذه الامتيازات بدقة ، حاملا معه دلالات لم تُعرف بدون هذا التقديم والتأخير .

الخاتمة:

أوّدُّ أنْ أُشير في الختام الى أهم النتائج التي تمخض عنها هذا البحث الذي تم بوساطته تسليط الضوء على الدلالة التركيبية للتقديم والتأخير في آيات التمكين والتسخير، وقد خلص البحث الى نتائج عامة، ونتائج خاصة. أما النتائج العامة فهي:

١ــ إنّ الدلالة التركيبية هي الدلالة الناشئة عن العلاقة بين وحدات التركيب، أو المستمدّة من ترتيب وحداته على نحو معين .

٢ــ إنّ التقديمَ والتأخير من الوسائل المهمة التي استند عليها القرآن الكريم في أسلوبه وطريقةِ نظمه ؛ وذلك لإفادة مزيد من المعاني المتنوعة التي لا تحصل إلا بهذه الوسيلة، ولعله من أوسع اساليب التعبير مساحة في القرآن الكريم .

٣ــ إنّ لأسلوب التقديم والتأخير قدرة فائقة على أداء المعاني الخفية وتقوية الكلام وتجميله وسبكه، وقد حَظي هذا الأسلوب بعناية النحاة وعلماء البلاغة؛ لأنه يتصل بتركيب الجمل، ويؤثر في دلالة التركيب .

٤ــ لقد نال موضوع التقديم والتأخير عناية النحويين والبلاغيين على حد سواء ، واشترطوا في حصوله وضوح الإعراب وعدم حصول اللّبس ،ويظهر منهم اهتمامهم بصحة المعنى وعدم ضياعه.

٥ــ إنّ التقديم والتأخير يمثل عدولا عن الرتب الطبيعية للجملة ؛ لذا فو يعد نوعاً من الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية، ومن هنا وجَّه البلاغيون اهتمامهم الخاص لهذا المبحث ، ورصدوا الكثير من التعبيرات التي توفرت فيها هذه الظاهرة التركيبية ، وما يُمكن أن تُفيد منه الدلالة ، أو ما يُمكن أن تتغير به الدلالة تغييرا يوجب المزية.

٦ــ إنّ للتقديم والتأخير دوافعَ تحفِّز المتكلم لإحداث هذا الأسلوب التركيبي وذكر الدارسون منها عشرة أنواع : التشويق ، تعجيل المسرة ، تعجيل المساءة ، التفاؤل، إنكار المتقدم ، تقوية الحكم وتقريره ، التخصيص ، الاهتمام ، التعظيم ، التشريف.

أما النتائج الخاصة :

استعمل القرآن الكريم في آيات التمكين والتسخير مجموعة التراكيب التي حصل فيها التقديم والتأخير، وعرض الباحث لمجموعة الآيات الذي تظهر فيها القيم الدلالية للتقديم والتأخير التي حققت غاياتها في إيصال المعاني

بدقة، وتمكينها من النفوس لزيادة التأثير والإقبال، ويمكن تفصل تلك النتائج في الفقرات الآتية :

أ- تبرز دلالة التقديم والتأخير في قوله تعالى من سورة يوسف ، الآية (٥٤) : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ،فيما قصه عن يوسف (عليه السلام):إذ حصل في المكون التركيبي للجملة الاسمية (إنَّك اليومَ لدينا مكينٌ أمينٌ) تقديمٌ لمتعلقات الخبر : (اليومَ) وهو ظرف زماني منصوب متعلق ب(مكين) خبر(إنَّ)، و(لدينا) ظرف مكاني في محل نصب وهو متعلق بالخبر السابق فتقديم متعلقي الخبر يدل على شدة اهتمام ملك مصر بيوسف (عليه السلام) عندما جلاله وعلمه ، فقدم الظرف الزماني (اليوم) لتحديد مبدأ التمكين والأمانة ، وتخصيص بدايتهما من اليوم الذي تكلم فيه؛ ليحترز به عمّا يدل على أنّ هذا التحديد سيكون بعد حين آخر، وكذلك الأمر في تقديم (لدينا) فهو يدل على العناية الشديدة بشأن يوسف(عليه السلام) ، واختيار (لدى) دون (عند) يجلّي هذا الاهتمام ويبرِّز تلك العناية[٧٦] لأن استعمال (عند) للشيء الحاضر والغائب عند المتكلم ، أما (لدى) فلا يكون استعمالها إلا للشيء الحاضر ، فأظهر التقديم والتأخير ما بلغه النبي الصديق من شأوٍ باذخٍ ، وما ناله من تمكينٍ واسعٍ ومنزلة رفيعة لدى ملك مصر.

ب ـ في الآية (٤١) من سورة الحج : ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾، فقد تقديم الخبر (للهِ) على المبتدأ (عاقبةُ الأمورِ) ودلالة هذا التقديم هو التخصيص ؛ أي أن عاقبة الأمور لله خاصة، مرجعها إلى حكمه وتقديره ، ومجيء هذه الجملة بعد ذكر صفات المؤمنين ؛ للتنبيه على أن جميع الأمور مردها إليه ، وإن تمكين المؤمنين وتملكهم الأرض أمر سيحصل لا محالة ، وهذه الجملة هي وعد لله لعباده ، وفي تقديم خبرها تأكيد على هذا الوعد فتكون فائدة هذا التقديم الدلالية هي التخصيص والتوكيد على الوعد .

ت ــ ورد التقديم والتأخير في سورة البقرة الآية (٥٠): ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ والتقديم في شبه الجملة (بكم) على المفعول به (البحر) ، وكان الترتيب الطبيعي للجملة : فرقنا البحرَ بكم ؛ لكن تقديم شبه الجملة دل على أن دخول بني اسرائيل في شق البحر كان مباشراً ، فكأنهم كلما تقدموا ينفرق البحر أمامهم ، فالباء في (بكم) للملابسة ، أي كان فرق البحر ملابسا لهم والمراد من الملابسة أنه يفرق وهم يدخلونه فهو لصيقا بهم ؛ ليُريهم عن قُرب قدرته وعظمته ، وقد أدى التقديم غايته في بيان ما مكن به بني إسرائيل بفرق البحر والنجاة من فرعون ، وجعلهم يتسلون بمشاهدة هلاك عدوهم عن قرب ، والذي كان من قبل يتمتع بمشاهد القتل والترويع والبطش الذي نالهم بأمرٍ منه .

ث ــ جاء التقديم في الآية (٧٩) من سورة الانبياء :﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الآية استدركت بجملة (وكلاً آتينا حكما وعلماً) التي تقدم فيها المفعول به الأول (كلاً) على الفعل المتأخر (آتينا) . لتخصيص داوود وسليمان بالعلم والحكمة وتسويتهما بذلك ؛ و لئلا يتوهم أحد أن سليمان أفضل من أبيه داود في الفتيا أو الحكم بين المتخاصمين، فكان التقديم والتأخير قد افاد التخصيص لرفع التوهم واللبس في مسألة تفضيل سليمان على داوود.

جـ ــ ورد التقديم لغير العامل في الآية : ٣٥ من سورة البقرة : ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فقدم الزوجة على الجنة بقوله : اسكن أنت وزوجك الجنة ، الزوجة مسكن القلب، والجنة مسكن البدن، فقدم الأول على الثاني لأنّ السكن الروحي أعظم من السكن البدني ، فالجنة جعلت لآدم للأكل والشرب والراحة البدنية ، بينما الزوجة تحقق له راحة النفس وسكن القلب ، فهذه الدلالة لا تتجلى بوضوح لولا هذا التقديم .

ح ــ ومن مواضع التقديم لغير العامل ما ورد في الآية (٧٠) من سورة الإسراء : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ

الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٧٧] والملاحظ في هذه الآية التمكينية المباركة أنها ذكرت : الحمل في البر والبحر ، الرزق من الطيبات ، والتفضيل على كثير من الخلق . وتقديم الحمل في البر والبحر على غيره للدلالة على أنّ الاستفادة من الطيبات والأرزاق لا يحصل إلا بالحركة ، والحركة على سطح الأرض برا وبحرا يحتاج إلى وسائل نقل متعددة ،وللدلالة على إظهار سلطة بني آدم على الكوكب بما فيه من بحار وصحارٍ ، فجاء ترتيب هذه الامتيازات بدقة ، حاملا معه دلالات لم تُعرف بدون هذا التقديم والتأخير .

الإحالات والهوامش:

(١) ينظر : مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس (ركب) : ٢ / ٤٣٢ .
(٢) لسان العرب ، ابن منظور (ركب) : ١ / ٤٣٢ .
(٣) ينظر : التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، د. محمود عكاشة : ١١٨.
(٤) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك ، ابن الصبان : ١ / ٢٤ .
(٥) الكتاب ، سيبويه : ٢٣ .
(٦) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم :١ / ١٧ .
(٧) ينظر : البحث النحوي عن الأصوليين ، مصطفى جمال الدين : ٢٧ .
(٨) مفتاح العلوم ، السكاكي : ٧٥ .
(٩) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ١ / ٥٥ .
(١٠) أثر الوقف على الدلالة التركيبية ، د. محمد يوسف حبلص : ٦٨ .
(١١) التطبيق النحوي ، د. عبده الراجحي : ١٣ .
(١٢) نحو التيسير دراسة ونقد منهجي ، د. أحمد عبد الستار الجوراني : ١٢٣.
(١٣) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة : ١١٩ .
(١٤) ينظر : الكتاب: ١ / ٥٦ .
(١٥) ينظر : المصدر السابق نفسه : ٢ / ١٢٧ .
(١٦) ينظر : المقتضب ، المبرد : ٣ / ١١٨ .
(١٧) دلائل الإعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني : ١ / ١٠٦ .
(١٨) ينظر: البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ٣ / ٢٣٣ .
(١٩) دلالات التركيب دراسة بلاغية ، د. محمد محمد أبو موسى : ١٧٠ .
(٢٠) ينظر : النحو العربي والدرس الحديث ، د. عبدة الراجحي .
(٢١) دلائل الإعجاز: ١ / ٤٥٤ .
(٢٢) المصدر السابق نفسه : ١ /٤٦٨ .
(٢٣) في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي : ٣١ .
(٢٤) دلالات التركيب دراسة بلاغية : ١٧٠ .
(٢٥) ينظر : البيان في روائع القرآن ، د. تمام حسان : ٢٢٧.
(٢٦) البلاغة والأسلوبية ، د. محمد عبد المطلب : ٣٢٩ .
(٢٧) ينظر المصدر السابق نفسه : ٣٣٣.
(٢٨) ينظر :علم المعاني ، عبد العزيز عتيق : ١٤١ ، والبلاغة والتطبيق ، أحمد مطلوب : ١٤٦-١٤٧ .

(٢٩) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٣ / ٤٠-٤٦ ، وأسرار البيان في التعبير القرآني ، د. فاضل السامرائي وهي محاضرة ألقاها ضمن فعاليات جائزة دبي للدراسات القرآنية ٢٠٠٢م.
(٣٠) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ابن عقيل : ١ /٢٢٧ .
(٣١) الجملة العربية مكوناتها أنواعها تحليلها ، د. محمد إبراهيم عبادة : ٣٣ .
(٣٢) سورة يوسف ، الآية : ٥٤.
(٣٣) ينظر : إعراب القرآن الكريم ، عبد الله علوان وآخرون : ٢/ ١٠٨٠ .
(٣٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر البقاعي : ١٠ / ١٣١ .
(٣٥) ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الآلوسي : ٧/ ٦ .
(٣٦) ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري : ٢٠٩ .
(٣٧) سورة الحج ، الآية : ٤١ .
(٣٨) ينظر : روح المعاني : ٩/ ١٥٧ .
(٣٩) ينظر : التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور : ١٧/ ٢٨٢ .
(٤٠) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي : ٤ / ٧٣ .
(٤١) سورة سبأ ، الآية : ١٣ .
(٤٢) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ١٥ / ٤٦٩ .
(٤٣) ينظر : التفسير الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي :٢٠/ ٤٦٩ .
(٤٤) ينظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب : ٢٨٩٩.
(٤٥) سورة الفتح ، الآية : ٤ .
(٤٦) إعراب القرآن وبيانه ، محي الدين درويش : ٩/ ٢٣١ .
(٤٧) التحرير والتنوير : ٢٦ / ١٥١ .
(٤٨) سورة الأعراف ، الآية : ٥٤ .
(٤٩) التحرير والتنوير : ٨/ ١٦٩ .
(٥٠) ينظر : الكتاب ، سيبويه : ١ / ٨٠ .
(٥١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي : ١ / ٥٨٠ .
(٥٢) سورة الأعراف ، الآية : ٣٠ .
(٥٣) سورة البقرة ، الآية : ٨٧ .
(٥٤) همع الهوامع : ٢/ ٨.
(٥٥) جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمي : ١٦٣ .
(٥٦) سورة البقرة ، الآية : ١٢٠ .
(٥٧) ينظر : التفسير الكبير : الفخر الرازي : ١٣ / ١٥٩ .
(٥٨) التحرير والتنوير : ١ / ٧٠٢ .

(٥٩) ينظر : في ظلال القرآن : ١ / ١١٢.
(٦٠) سورة الأنبياء ، الآية : ٧٩ .
(٦١) ينظر : التحرير والتنوير : ١١٩/١٧.
(٦٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٦٠ .
(٦٣) سورة البقرة ، الآية : ٥٠ .
(٦٤) التحرير والتنوير : ١/ ٤٩٤.
(٦٥) سورة غافر ، الآية : ٧٩ .
(٦٦) ينظر : روح المعاني : ٢٤ / ٢١٧ .
(٦٧) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٣/ ٤٠ – ٤٥ .
(٦٨) سورة البقرة ، الآية : ٣٥ .
(٦٩) روح المعاني : ١ / ٢٣٥ .
(٧٠) سورة آل عمران ، الآية : ٤٩ .
(٧١) ينظر : روح المعاني : ١ / ٢٣٥ .
(٧٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٧ .
(٧٣) ينظر : روح المعاني : ١ / ٥٥٨ .
(٧٤) سورة الإسراء ، الآية : ٧٠ .
(٧٥) ينظر : تفسير الأمثل: ١٤ / ٣١٠-٣١١ .
(٧٦) ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الآلوسي : ٧/ ٦ .
(٧٧) سورة الإسراء ، الآية : ٧٠ .

المصادر والمراجع :

- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ م.
- إعراب القرآن الكريم ، عبد الله علوان وآخرون، تقديم : د. عبد الراجحي ، دار الصحابة للتراث ، طنطا - مصر ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين درويش (ت ١٤٠٣ هـ) ، ط ٤ ، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص – سورية (دار اليمامة - دمشق – بيروت)، ١٤١٥ هـ .
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان ، ١٤٣٤ ه_٢٠١٣م .
- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
- البلاغة والأسلوبية ، د. محمد عبد المطلب ، مكتب لبنان ناشرون ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٤م .
- البلاغة والتطبيق ، د. أحمد مطلوب و د. حسن البصير ، ط ٢ ، وزرة التعليم العالي والبحث العلمي ، العراق ، ١٩٩٩م .
- البيان في روائع القرآن ، د . تمام حسان ، عالم الكتب ، ١٩٩٣م .
- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، ط١ ، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.
- الجملة العربية مكوناتها أنواعها تحليلها ، د. محمد إبراهيم عبادة ، ط ٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠١ م .
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، بيروت .
- دلالات التركيب دراسة بلاغية، د. محمد محمد أبو موسى ، ط٢، مكتبة وهبة ، القاهرة –مصر، ١٩٨٧م.

– دلائل الإعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) تحقيق : محمود محمد شاكر أبو فهر ، ط ٣ ، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٥ هـ .

– شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، عبد الله العقيلي المعروف بابن عقيل ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٢٠ ، دار التراث – القاهرة ، مصر ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

– علم المعاني ، د. عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، ، بيروت – لبنان ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

– في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ، ط ٢ ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٦م .

– الكتاب ، سيبويه ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣ ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م.

– مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، أبو محمد جمال الدين ابن هشام الأنصاري المصري ، تحقيق : د. مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ، ط ٦ ، دار الفكر – دمشق ، ١٩٨٥م .

– مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، محمد بن عمر فخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) ، ط ٣ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٤٢٠ هـ .

– المقتضب ، محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة ، ط ١ ، عالم الكتب ، بيروت .

– النحو العربي والدرس الحديث ، د. عبده الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩م.

– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

– همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر.

– وأسرار البيان في التعبير القرآني ، د. فاضل السامرائي وهي محاضرة ألقاها ضمن فعاليات جائزة دبي للدراسات القرآنية ٢٠٠٢م.